مكانتها عظيمة وتاريخها عريق:

تريم: مدينة القصور والمساجد.. وقلعة للعلم والعلماء

■.. مدينة حضارتها عريقة وتاريخها موغل في القدم لعبت دورا بارزاً في نشر الثقافة الإسلامية وكان أناسها على دراية بمختلف العلوم والمعارف ولم يقتصر هذا الدور على اليمن فحسب بل تعداه إلى أقاليم ومناطق أخرى حول العالم، وأبرز ما يميزها عن المدن التاريخية والحضارية في اليمن أنها لازالت تمارس هذا الدور في حين أن مدناً أخرى كان لها نفس الدور قديماً لكنها لم تعد كما كانت عليه.

فمدينة تريم بمحافظة حضرموت التي احتفلت العام الماضي بمنارة الثقافة الإسلامية حيث تم تتويجها عاصمة للثقافة الإسلامية لكنها وللأسف الشديد لم ترتد حلةً تليق بها وبكهذا مناسبة تاريخية استمرت عاماً كاملاً كانت خلاله محط أنظار العالم الإسلامي بشكل خاص والعالم بأسره على وجه العموم ولكن لانعلم ماهي الأسباب التي حالت بينها وبين تجسيد واستغلال هذا الحدث بما يعود بالنفع ليس على المدينة فحسب بل وسائر المدن اليمنية..

استطلاع /عبدالباسط النوعة

●.. لعل الكل يعرف أن اليمن تحوي الكثير من المدن التاريخية والحضارية التي عاصرت حضارات شتى وعاشت أزمنة غابرة وساهمت اسهامات عظيمة في مسار التاريخ سواءً في مجال العلم أو بناء الحضارة أو الفنون أو حتى في خدمة الرسائل السماوية وغيرها من المجالات إلا أن معظم تلك المدن خف دورها لاسيما تلك الادوار التي كان يقوم بها بها سكان المدن الذين كانوا متزودين. بمختلف المعارف والعلوم، ولم يعد لتلك المدن سوى المباني والأسواق وبعض الحرف التي لازالت تدلل على عظمة التاريخ والحضارة، ولعل الفنون المعمارية في المدن التاريخية تمثل أبرز المخلفات العظيمة بجيل ساهم بشكل فعال في مسار الحياة الإنسانية القديمة، ولكن مدينة تريم تتميز عن تلك المدن التاريخية في أن أهلها لازالوا يواصلون عطاءات آبائهم وأجدادهم، فقد حملوا الراية ومضوا بها نحو الأمام فقد اشتهرت هذه المدينة بدورها الكبير في نشر الاسلام إلى مواطن كثيرة لعل أبرزها شرق آسيا وإفريقيا وحتى أوروبا وبرز منها كثير من العلماء والباحثين رفي شتى العلوم والمعارف، ولازالت هذه المدينة تنجب الكثير من العلماء الذين لايتوارون عن القيام بدورهم في خدمة هذا الدين، فإلى جانب السفر والترحال لنشر هذا الدين وتعاليمه، لازال الكثير من طلبة العلم يمنين وعرباً وإجانب يقصدون هذه المدينة لينهالوا من فيض ما بها من علم، ولازالت مدارس وأربطة العلم تؤدي دورها ولعل أبرز المدراس والأربطة دار المصطفى، ورباط تريم الذي يعد أقدم الأربطة في تريم فضلاً عن مراكز علمية أخرى أشهرها مركز ابن عبيد الله السقاف وغيرها، كذلك تحوي تريم على واحدة من أهم وأبرز المكتبات الإسلامية »مكتبة الاحقاف« التي تحوي الآلاف من الكتب النادرة والمخطوطات القيمة، وقد تم توثيق معظم تلك المحتويات توثيقاً علمياً صحيحاً حسبما أوضحه العاملون في تلك المكتبة.

> **احتفلت العاصمة الثقافية الإسلامية كعروس مات زوجها**

المعمار التريمي

- أما المعمار التريمي فلا يختلف كثيراً على المعمار في وادي حضرموت بل وفي معظم المدن التاريخية في اليمن فهو قائم على الطين إلا أن المعمار التريمي يمتاز بالزخارف والتفنن الكبير في النقوش فضلاً عن زخرفة النوافذ واستخدام الألوان في عملية المعمار، فضلاً على ضخامة البناء، ولعلها المدينة الوحيدة التي تحوي العديد من القصور الضخمة ذات الطوابق المتعددة والغرف الكثيرة والالوان والنقوش البديعة، فقد تميزت هذه المدينة عبر مراحلها التاريخية بهذه العصور التي تعتبر آية من آيات الفن المعماري الإسلامي بل وتمثل إعجازاً فنياً وحضارياً للانسان التريمي وهذا ما ذهب إليه بعض الاكاديميين الخليجيين في مجال العمارة والذين زاروا المدينة العام الماضي ولعل أبرز قصورها المنصورة وقصر العشة وقصر الرناد وقصور آل الكاف وغيرها وكثير، ولكن هناك الكثير من هذه القصور أصبحت مهجورة وغير مأهولة بالسكان الأمر الذي ساهم كثيراً في خراب بعض أجزاء تلك القصور وكما يقول عبدالرحمن لسقاف مدير عام الآثار في الوادي والصحراء أن أهم أسباب تدهور تلك القصور يكمن في عزوف الناس عن االسكن فيها بسبب ضخامتها واتساع محتوياتها الأمر الذي يتطلب الكثير من العناء والجهد سواءً في النظافة أو الصيانة وغيرها ولعل الناس يفضلون السكن في منازل صغيرة تكون مناسبة لهم وأبنائهم، وقد تمت صيانة بعض هذه القصور إبان الاحتفال بعاصمة الثقافة الاسلامية »تريم« وبيد أن هذا لابيد ترميماً فقد اقتصر في بعض القصور على الشكل الخارجي فقط حيث تمت إعادة الطلاء وتجديد الألوان والنقوش وبالتالي لازالت تلك القصور تحت لائحة الخطر، ومهددة بالإندثار، ولعل أبرز المشاكل التي تواجهها حسبما يقول مدير عام الآثار بالوادي أن معظم تلك القصور ترجع ملكيتها لورثة كثر الأمر الذي يجعلها عرضة للإهمال والعبث وكما يقول المثل »بيت الورثة خراب« وتمثل هذه القصور ثروة عظيمة كونها تحوي كافة متطلبات القصور المعروفه على مدى التاريخ وتحوي أيضاً العديد من المرافق المصاحبة للقصور. ولعل الاحواش الترابية والغرف الصغيرة التي كانت تستخدم كمساكن للعاملين لدى العائلات المالكة لتلك القصور وغيرها من المرافق منها المطاحن التي كانت تستخدم لطحن الحبوب الزراعية فضلاً عن المرافق الخاصة بالحيوانات التي كانت تربى بالمنازل وكذا اصطبلات الخيول إلا أن معظم تلك المرافق في كثير من القصور مهملة جداً إن لم تك قد اندثرت وانتهت..

شوارع عامرة

الزائر لمدينة تريم ومنذ أن تطأ قدماه هذه المدينة الساحرة ذات البناء المعماري الفريد والمميز الأسواق والشوارع العامرة والرائعة وكل من يتجول في أزقتها وبين منازلها ومعالمها لايريد أن تنتهي جولته ولو استمرت أيام متتالية فالاندهاش ولاعجاب يطغى على أي شعور آخر قد ينتابه مثل الجوع والعطش وربما حتى النوم، أيضاً، ولعل مساجد تريم تمثل أيضاً بعداً آخر وحضارتها، ففي المساجد الكثير وليس هذا فحسب بل مثلت هذه المساجد أهمية كبرى فقد كانت منارة للعلم موطناً لتخريج الكثير من العلماء الذين جابوا الارض ليجدوا من فيض ما أتوا من علوم، كذلك تميزت تلك المساجد بمعمارها المختلف تماماً عن نمط المعمار في كثير من المساجد القديمة في اليمن، ولعل أكبر المآذن في الجزيرة العربية كما يقال موجودة في تريم وهي منارة مسجد المحضار مربعة الشكل على غير ماجرت عليه العادة في المساجد القديمة التي تكون مآذنها دائرة الشكل ومئذنة المحضار شاهقة الارتفاع إنها من الطين وهي تقاوم الزمن وتثبت مدى عراقتها وأصالتها واتقان بنائها وعبقرية الانسان التريمي، كذلك جامع آخر مثل شهرة واسعة وهو جامع الاحقاف الملازم لمكتبة الاحقاف وهذا الجامع الذي أعيد بناؤه قبل سنوات ماضية وتغيرت معظم ملامحه كان أيضاً منارة من منارات العلم ومدرسة لمختلف العلوم لاسيما الشرعية..

وادٍ جميل

- عند زيارتنا لمدينة تريم خرجنا من إحدى الجهات ولاحظنا بقايا سور قديم ونوب كثيرة للحراسة والحماية، فضلا عن الطبيعة الخلابة في تلك الجهة فالاخضرار يعم المكان والاشجار الكثيفة والنخيل المنتشر والاراضي الزراعية الواسعة والتي تكون خضراء طوال العام، حسبما أوضحه أحدسكان مدينة تريم الذي رافقنا في هذه الجولة خارج المدينة، مؤكداً أن معظم أهالي المدينة يتخذون من تلك اللوحة الجمالية والوادي الخصيب متزهاً ومتنفساً لهم..

- هذه إطلالة مختصرة لهذه المدينة المذهلة ذات المكانة التاريخية والأهمية والفائدة العظيمة والتي لاينكرها أحد وصحيح أن هذا الموضوع لا يفي المدينة حقها الا أنه يمثل ومدخلاً فقط ربما تحتاج المدينة لحلقات كثيرة ومتعددة نستطيع من خلالها الإلمام بكل ما في المدينة من حضارة وتاريخ وكنا نتمنى أن تمثل الاحتفائية بعاصمة الثقافة الإسلامية فائدة كبرى لهذه المدينة العظمية ولكن للأسف الشديد أصبنا بخيبة أمل فقد افتتحت الفعاليات بشكل يوحي بأن سائر العام سوف يشهد المزيد والمزيد الأمر الذي يصب في خدمة هذه المدينة والتعريف بها أكثر وأكثر ولكن استمرت الفعاليات لأسابيع قليلة فقط وبعدها توقفت وأصبحت تأتي هذه العفاليات على استحياء بمعنى فعاليات ومناشط بين حين وآخر، وأصبحنا نتناسى أن هناك مدينة يمنية توجت عاصمة للثقافة الإسلامية وهكذا حتى انتهى العام وبالتالي ضاعت علينا هذه الفرصة التي لاتعوض، فقد احتفلنا في العام ٢٠٠٤م بصنعاء عاصمة للثقافة العربية ومثل ذلك العام حراكاً فنياً وثقافياً كبيراً جذب أهتمام الكثيرين إلى هذه المدينة والى اليمن بشكل عام ولكن ماحدث مع تريم أمر يؤسف له تماماً، ومع مطلع العام الجاري سلمت راية الثقافة الاسلامية للعام ٢٠١١م للجزائر دون أن نعمل بهذه الراية شيئاً على مدى عام كامل، إن الاخبار تقول أنه خصصت ميزانية ضخمة لهذه المناسبة بيد أن هذه الميزانية لم تشفع لدى القائمين على هذه الاحتفائية لجعل هذه المدينة شعلة من الفعاليات والأنشطة طوال العالم فالميزانية وحدها لا تكفي لأنها أداة بحاجة إلى من يستخدمها ويقوم باستغلالها بأمثل صورة إذا ما استحسنا اختيار المستخدمين.

مخازن المتاحف وطلاب الآثار!!

أنور محمد الحاير

■ على الرغم من حدوث تغيرات نحو الأفضل في طرق العرض المتحفي في اليمن، إلا أن المتاحف لاتزال مجرد مباني تاريخية، تحفظ فيها بعض القطع واللقي الاثرية، وترفد خزينة الدولة بإيراد اقتصادي لابأس به..

لكن هذه المتاحف لم تصل الى مستوى المتاحف العالمية، من حيث اعتبارها مراكز بحثية لطلاب الآثار الذين يقومون بدراسات منهجية وعلمية لبعض محتويات المخازن، ومن ثم نشرها للعالم ليتم التعرف عليها، أما في بلادنا لايتم السماح لأي شخص يمني يحمل بطاقة تعريفية على أنه طالب اثار دخول أي مخازن، عكس أي أجنبي حتى وإن كان مجرد هاوياً فإن استقباله بالورد والسجاد الأحمر، ليس إلى قاعات العرض وإنما إلى قاعات المخازن التي تعاني من تدكس القطع الاثرية بسبب عدم توثيقها أو ترقيمها في سجلات المتحف، هذه المخازن الأثرية لا تفتح أبوابها أمام الطلاب اليمنيين إلا بعد إحضار مذكرات من عدة جهات، بمعنى إجراء تعسفي يصيب أي طالب بالملل من فترة المتابعة حتى لا تفكر من جديد دخول أي مخازن، أعتقد أن عدم السماح للباحثين والطلاب اليمنيين من دخول المخازن وبرفقة موظفي المتاحف ربما تأمن عليها السرقة والنهب كونها مخفية عن العيون...

أتمنى من كافة المتاحف التعاون مع الكوادر اليمنية وتسهيل دخولهم إلى أي مخازن دون أية معوقات يواجهونها باعتبارهم أولى من غيرهم...

دمـــون

سفاري الساحات

محمد الغربي عمران

■ هي خيام انتشرت كالفطر في بعض الميادين والشوارع.. لتنبعث من حولها روائح تعبر عن موقف من يتواجدون في تلك الميادين والشوارع.. وابتكار أساليب مختلفة لمن تحاصره قضاء الحاجة.. خاصة فترات إقفال المساجد المجاورة.

لقد كفلت مواد الدستور والقوانين حاجة الناس للتعبير.. لكن المشرع لم يتطرق إلى معالجة التعبير الأخر وضرورة قضاء الحاجة.. ولهذا تغيرت روائح تلك الشوارع والميادين.. وكنت أتوقع إيجاد دورات مياه متحركة.. وغيرها لتلبية احتياجات عشرات الآلاف في ساحات ضد ومع.. ومعاملة المواطن بكامل حقوقه الضرورية.. أعرف أصدقاء غيروا من نظامهم الغذائي خاصة وأن أوقاتهم يقضونها في ساحات الضد والمع.. فهم قللوا من كمية الطعام والشراب.. متحولين إلى الخضر والفاكهة.. مقلين في تناول البقوليات والمعجنات.. محاولين عند قبل خروجهم من منازله إفراغ ما يمكن إفراغه.. مستعدين لأكثر عدد من الساعات بعيدا عن دورات المياه.

يذكرني ما نحن فيه في ساحات التعبير عن ضد ومعَ.. إلى قضائي عدة أشهر في إحدى مديريات محافظة ذمار النائية ضمن فرق التعداد السكاني.. كان ذلك في الثمانينيات.. في تلك القرى النائية لا توجد دورات مياه..ولا مطاهير ملحقة بالمساكن .. ورغم وجود دور تصل عدد أدوارها إلى الخمسة.. لكنها دون أمكنة لقضاء الحاجة.. ولهذا نظمنا أنفسنا إلى أن نتخلص من حاجتنا قبل دخول تلك الدور.. وياويله من ينسى .. فقد يضطر إلى قضاء ساعات الليل في معاناة حتى يخرج صباحا الأحراش .. قد نكون نسينا أن معظم دور السكن في شبه جزيرة العرب.. جنوبها وشرقها وبالذات في الأرياف.. وأمكنة تجمع الخيم والخدور في الصحارى والنجود لم تكن بيت الخلاء فكرة محبذة واقتصادية.. فالأرض كلها خلاء.. وهذا نحن اليوم نعيش السفاري في شوارع وساحات مدننا.

هي لحظات تاريخية لا تنسى.. لكن على الإدارات المعنية بصحو البيئة أن تتنبه لمثل هذا الوضع.. وعن حاجة الناس للنظافة.. ومن أن ذلك الوضع قد ينتج عنه أضرار وأمراض خطيرة.. فهل تعي الإدارات المعنية بصحة البيئة.. ونظافة الشوارع بذلك الوضع.

إذا علينا أن نتعاون على مثل هذه الحالة .. قاطنين أو معتصمين.. وأن لا نتهاون في تنظيم أنفسنا .. وأن لا نتحرج.. فالنظافة من الإيمان.. ولا يمكن أناس نتطلع إلى الأفضل ونحن نتغاضى عن محيط نحن نصنعه ونعيشه.. ونلحق الضرر بأنفسنا.

هناك حياة الريف.. وهنا حياة مكتظة بالبشر والمباني والمركبات.. هناك الفرد يشغل عدة كيلومترات.. وهنا في المدن في الكيلو متر مئات البشر.. وفي ساحات وميادين الضد والمع في آلاف البشر. نساء وأطفال.. وشباب وكهول.. أصحاب رأي وباعة جائلين.. وأصحاب محلات.. الخ ذلك من الاكتظاظ.

فلنجعل من ميادين التعبير المكتظة أماكن تليق بعقولنا وتطلعاتنا.. فلا يعقل أن تستمر شارع الدائري أو التحرير بتلك الروائح.. ولا يعقل أن نترك الساحات في مدننا ساحات التعبير بضد أو مع ساحات دون نظافة دون دورات مياه جاهزة على مدار الوقت.

إضافة إلى تلك المخلفات من بقايا الأطعمة.. وغيرها من المخلفات البلاستيكية.. فلنجعلها ساحات تشع بالنقاء.. تشع بما تحمله أرواحنا من حب وتسامح.. وأمل بغد أكثر حرية وتطوراً.. وأكثر تضامناً وبناء.. فلنتبارى على غرس قيم الجمال والعطاء.. قيم الخير والنماء.. فالنقم بلفتة على ساحاتنا.. أو تخصيص يوم في الأسبوع لتنظيف تلك الشوارع والساحات والميادين احتراما لأدميتنا.

algarby@gmail.com